رقص الأفاعى

مجموعة قصصية

تأليف

رأفت عزمى على

طبعة ٢٠١٧

على ، رأفت عزمى.

رقص الأفاعى: قصص / رأفت عزمى على – .- الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٧ .

٨٤ ص ,٢٠ سم

تدمك: ٥٢٨٧ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية القصيرة

أ - العنوان

٨١٣٠,١

رقص الأفاعى

مجموعة قصصية

تأليف

رأفت عزمى على

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة

المنتدب

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٧/٢٩٦٣

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٥٢٨-٧

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٧

الكتاب : رقص الأفاعى

المؤلف : رأفت عزمى على

الغلاف : إسلام البلاط

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

sales@atlasdic.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

إهـــــداء..!

إلى أمي ونبرات الدعاء الصادق

من علمتنى كيف يكون الصبر

إلى عالمى أسرتي التي أعشقها

إلى أحبابي، ورفاق نادي القصة بأسيوط

زادي ودافعي للابداع

إلى دماء الشهداء.. ليتها ما كانت..

إليكم.. رقص الأفاعي..!

رأفت عزمي

انتظر..

امتلك ما شئت.. سترحل يوما كما جئت

ولن يبقى إلا ما كتبت..

لتكن لقارئك بارقة أمل يتغنى بها على طريق الحياة..!

المؤلف

هـروب

تشـرق الشـمس، يتزاحـم النـاس علـى مختلـف أعمارهـم، يعلـو صياحهـم حتـى يقفـوا صفـين،

صـف للرجـال وآخـر للنسـاء.. يمسـك كل واحـد بطاقتـة الخضـراء، ليحصـل علـى نصيبـه مـن الخبـز، عيـر عابـيءٍ بجـودة الرغيـف ولا وزنـه، فقـط ليحصـل عليـه؛ ليسـد بـه رمـق مـن يعولهـم.

يقـف الشـيخ الطاعـن فـى السـن، وقـد بـدا عليـه التعـب، لـم تتحمـل قدمـاه الوقـوف طويـلاً بـين الزحـام. ولـم تتحمـل أذنـاه صيـاح النـاس، ولا السـباب فيمـا بينهـم. يسـتأذن منهـم، يجلـس علـى الرصيـف منتظـرا دوره..!

تتوقـف سـيارة فارهـة.. ينـزل منهـا رجـل متوسـط القامـة ذو شـارب فاحـم، يرتـدي حلَّـة أنيقـة، يأمـر مـن معـه بتوزيـع بطاقـة تعارفـه، وهدايـاه.

يحيـى الجميـع، يصافحهـم متـوددا بحـرارة، بـدا يثرثـر كثيـرا معهـم عمـا آل إليهـم حالهـم، يمنِّيهـم بأحـلام ورديـة وآمـالٍ عـراض.. سـوف يحـل لهـم مشـاكلهم، ويسـاعدهم فـى تغييـر مسـتقبل حياتهـم.

مـن بعيـد.. يلاحـظ الشـيخ الكبيـر علامـات الرضـا علـى وجـوه النـاس الواقفـين في صهـد الشـمس، يـرى ابتسـامات الخـداع علـى الوجوه، ولحظـات فـرح تمـلأ قلـوب مـن حصلـوا علـى هداياه. لـم يُلق بـالا لهـؤلاء ولا هـؤلاء.

ينتبـه الرجـل لنظـرات الشـيخ الهـرم تتفحصـه، يُقبـل عليـه. يقـدم لـه احـدى هداياه.. يتحـدث إليـه كثيـرا، ويمنِّيـه أكثـر..

ظـل الشـيخ ينظـر إليـه في وجـومٍ و لـم يتحـرك مـن مجلسـه ولا يهتـم بمـا يقـول مـن معسـول الـكلام، التفـت بعيـدا وهـو ينظـر إليـه بطـرف خفـى..!

ترقـب عينـاه الغائرتـان فـى وجهـه الأجعـد دوره فـى الصـف الطويـل. يتركـه، ينتفـض واقفـا، وهـو يقـول:

- العيش..!

يتغيـر وجـه الأنيـق، تتقـد عينـاه كأنهمـا جذوتـان، ينصـرف مسـرعا مـن أمامـه متأففـا.

يرقبه من بعيد وهو يلقي هديته فى مهب الريح..!

●●●

شهد

مازلت أتذكر الرحلة .أتذكر طفلا بائسا كان يعيش بين قيود، وجدران ذاق طعم الحياة لأول مرة لحظة خلاصه على يديه. أنظر إليهما بإشفاق .تدمع عيناى، أطبع قبلاتي الحانية على جبينه، وجبين العجوزالتى يوصيها بالدعاء.

صباح اليوم، أحسست بشعورغريب ينتابنى، أرى فى عينيه وهو راقد بالمشفى كلاما كثيرا، أمسح بيدى على رأسه البيضاء، أشعر بأوجاعه حين تطوف روحه المعلقة بأبواب السماء.

مازلت أجلس بجوارهما هو وزوجته العجوز. تؤلمنى أناته كثيرا. أرى فى عينيه علامات الصبر، أصبر نفسى.. أتمنى له السلامة، والعافية. فلم تألف عيناي سوى وجهين فى حياتى.

يهل علينا أقاربه، لم يكن رآهم من سنين طوال.. يصعد النظر في وجوههم، كأنه لا يعرفهم، يلتفت إلى زوجه العجوز، يشير إليها، تتناول من تحت الوسادة مظروفا يحمل وصيته لتقدمه لى. تنظر هذه الوجوه إلىَّ باشمئزاز وترمقنى بعيون حاقدة.

تناولته منها محاولاً أن أخفى دمعة تملأ عينيّ. لكنه رآني، فقربني إليه، وأخذ يربت بيده على يدي، ثم قدَّم لي قطعة من الحلوى وابتسامة رائقة على شفتيه؛ فانشرح صدرى، وافتر ثغرى.. أخذتها وقبلت رأسه في امتنان.

تقبل الممرضة الشابة مبتسمة تناوله الدواء، كانت تُهدِّئنى كلما رأتنى متوترا مضطرباً لأجله.

يتهيأ الشيخ لدخول غرفة العمليات، لم يكن يرى غيري وزوجته رفيقة الكفاح، ولا يسمع إلا أنينها الخافت..

ها قد ظهرت فى وجهها تجاعيد وجهها رحلة الحياة الطويلة، يهمس:

هنا يا زوجتي محطة الوصول.

ثم يلتفت إلىّ.. ينظر في وجهي طويلاً بعينين باكيتين وابتسامة رضا..

يدخل بعدها إلى غرفة العمليات.. أمسح دمعي، وأرفع وجهي حاضنا العجوز، تتلاقى عيناي وعينا الممرضة الجميلة.. أحسست تنظر إليّ بحنان، وتشعر تجاهى بشيء من الإعجاب.. أرسلها الطبيب للتوقيع على إقرار العملية، فتراجع أقاربه، ووقعت باسمي كاملاً..

فجأة وجدت اختلافا كثيرا في هويتي التي تحمل اسما آخر، تغير وجهها للحظات.. طلبت أن تعرف حقيقة علاقتي بهما.. أجبتها بنشوة غامرة:

- كنت نور رحلتهما الطويلة، وشهد رضابهما، وكانا لي نعم الأبوين..

ألحظ الحيرة فى عينيها، وقبل أن تنصرف عنى.. أعطيتها قطعة الحلوى لتذوق طعمها، أخبرتها.. أن طعم الشهد مازال فى فمى..!

●●●

رقص الأفاعى

ذات ليلة شتوية شديدة البرودة، تتناثر النجوم بضوئها الخافت في صفحة السماء الزرقاء.

يجلس شيخ القبيلة أمام خيمته بين أبنائه، وأحفاده مغرقا فى التفكير، ينظر إليهم وهم يتسامرون حول نيران الشواء، يستدفئون بلهيبها المتصاعد.

يرسل البدر نوره على سعف النخيل المتراص، وأشجار الزيتون.

يرمقهم جميعا بنظراته الحادة المستعتبة. تنم ملامحه عن حزن دفين يكتمه في طيات صدره، يرى الصحراء الشاسعة، وتخومها عارية. يتمنى أن يراها بساطا أخضر يزين أديم ربوعها، وأن يسطع النور على أرجائها.

يتركهم، ينزوى إلى ركن بعيد بجانب الخيمة،يتأمل حفيده الصغير الذي يرى في قسمات وجهه براءة الحمل الوديع،فينشرح صدره، يعودإليه الأمل متجدداً.

تغفل عيناه لحظات، يسبح فى حلمه المفزع ، أفاعٍ كثيرة تخرج من جحورها، تزحف نحو حفيده، كأن الريح تسوقها بسرعة البرق.

يصيبه الفزع، يصرخ فى أبنائه بصوت عالٍ لكنهم منشغلون بالسمر، تتلذذ أفواههم بالشواء، ينغمسون في ملذاتهم على نغمات لهوهم، تتعالى ضحكاتهم، يهللون، لا يدرون ، ولا ينتهبون إلى الخطر المحيط بهم.

فجأة !

تثقل حركة جسمه، ترتعش يداه فلم يستطع أن يقتلها، يصيب قدميه العجز، يحمل عصاه، يهش بها هنا وهناك، يحاول الشيخ أن يتحرك لكنه لم يستطع، النور ينبثق من قمم جبالها المقدسة طوى، والطور.

فسرعان ما يرى جنديا لا اسم له، على صدره علامة حمراء، وفى يديه سلاح فيطلق الرصاص تجاهها فيقضى عليها ، يحمل الحفيد الصغير بين ذراعيه الحانيتن، ويعطيه فوارغ الرصاص ليغرسها مكان رءوس الأفاعى المتطايرة، تنبت نخلا باسقات تشق الأرض جذورها ثابتة، وتمتد إلى عنان السماء عراجينها ذات طلع نضيد، تحتضن في دفء أشجار زيتون زيتها يضيء فى كل مكان .

يمضى الحفيد مسرعا تجاه جده، ولكنه عيناه معلقتان بما يرى. تنشق الأرض ،يطير الجندي إلى أعلى، يختفى بعيدا .

يستيقظ الشيخ من غفلته، ينتابه حالة من الذعر

قائلا : كفوا عن الرقص والسمر.

تعتريهم الدهشة جميعا!

يذهب مسرعا، يحتضن الحفيد الصغير، يقبله فيرى فى يديه غصن زيتون، يخرج من صندوقه الخشبى خارطة من رقاع الجلد رسمت حدودها بالدم.

يأمرهم أن ينظروا إليها ، وإلى الجبل السامق المنير، وإلى القلعة البعيدة هناك، يطلب من أبنائها تطهير كهوفها ، ووديانها من الأفاعى، ثم يأخذهم إلى الكهف البعيد التى خرجت منه الأفاعى فيجد أشجار النخيل تحتضن أشجار الزيتون وبينهما مدفع قديم اعتلاه التراب، فيزيل عنه التراب المتراكم، فيجد بجواره جنديا مسجى مبتسما خط على صدره بمداد الدم سبعة أحرف «تحيا مصر»

خط أحمر

يمرّ أمام بساطه الأخضر يزداد فرحا، وتنفرج أسارير وجهه. فى غدوه أو، رواحه

يتمنى أن يمتد البساط امتداد بصره، ويزيده مساحات شاسعة لأولاده.

تتسع حدقتاه حينما يرى سنابله تتمايل ظنا منه أنها تتراقص طربا مع نسمات النسيم، لكنها تشكو آلامها مع خفقات القلب المكلوم.

تداعب أنامله مسبحته التى تئنّ مع تسبيحاته المرودة عليه.

يحفظ كتاب اللّه، ويعيّه إلا أنه يتناسى سورة النساء.

تتوسم فيه شقيقته الخير، تذكره دائما بأنه يحمل كتاب اللّه فى طيات صدره، والموت لا موعد له.

يراوغها أحيانا، يلقى لها الفتات أحيانا ليكتم صوتها. تطالبه بحقها .ينهرها بشدة غاضبا، ولم يعرها اهتماما غير آبه بمصيره المحتوم، ولا بآنات رحم يناشده بأمر اللّه ، ويذكره بعرى المحبة،

وألا يهجره فى دنيا زوال.

تزداد نفسه جحودا، يغرق فى بحر لجي من أطماعه.

عجيب أنه يغدو، ويروح، يطالب صهره بحق زوجته، وأن يفى له بالعهد. يأبى، ويستعصى عليه ذلك. بأنه لا مكان للغرباء على بساطه.

لكن البساط الطيني الذي تلون به قلبه خط أحمر عليه ممنوع الاقتراب منه .

●●●

خطأ فى العنوان

ينبثق الصباح من رحم الظلمات ، يتنفس أنسام الربيع الصافية ، تخترق أضواء الشمس نافذة حجرتها، تداعب أشعتها الدافئة وجهها الخمري.

أيقظت أخواتها الصغيرات، تساعد أمها فى إعدادهن للذهاب لمدارسهن ، يأتيها عبر هاتفها المحمول خبرا يثلج صدرها، يرتسم على وجهها بشاشة الأمل الغائب، يتراقص قلبه فرحا ، تبلغ والديها اللذين يدعوان لها بالتوفيق.

تداعب أخواتها وتمنينهن بأحلامهن البسيطة.

شعرت أن آمالها سوف تتحقق، ارتدت ثوبها الأنيق ، وفى عينيها بريق من الآمال العريضة مرسومة على شفتيها. يضطرب قلبها مابين المهابة والرجاء ، تذهب مسرعة ولا تشعر بالتعب كأن الرياح تسوق خطاها مع أنفاسها اللاهثة.

تجد جموعا غفيرة من الجنسين تتزاحم حول الإعلان، وتنتظر حظها .

تتمنى أن يكون اسمها موجودا ، تأمل قبولها بعد سنوات الصبر العجاف ، كتبت بياناتها من جديد، استوفت أوراقها تتصارع ، تتزاحم حتى تتصبب عرقا، تتورم قدماه من الوقوف .

فجأة! ترى أخرى تعرفها تدخل بصحبة رجل أنيق رغم الزحام.

تنتظر طويلا حتى الظهيرة ، تلمحها تخرج مبتسمة، تسلم عليها .قائلة :

ايه الأخبار..قبلوك:

تحاول أن تعرف منها شيئا.

- معلش ..اعذريني سلام بقى

تقرأ الأعلان مرة تلو أخرى. تجد اسم من تعرفها فى المقدمة، بينما يأتى اسمها فى الاحتياطى . تتعجب من ذلك ! تتضايق.الشروط لاتنطبق عليها ! تتساءل كثيرا ؟

دا حقى أنا

تنفعل وتضطرب، تثور ، تسألهم أسئلة كثيرة ولكن لا أحد يجيب.

ربتت يد حانية على رأسها..ترتمى فى صدره باكية، تشعر بالمرارة، وخيبة الرجاء، تجر أذيال الخيبة ، تكسو ملامحها الكآبة، تحس أنها أخطأت فى العنوان.

●●●

اختفى و نور القمر

فى تلك الليلة التى انتظرها طويلا.. تنفرج أسارير وجهه مع قسمات وجه مليكته المضيئة، تغمره السعادة، يتراقص قلبه طربا مع ثوبها الأبيض المزين بحبات اللؤلؤ مع فرحتها الغامرة، تتمازج الأضواء المبهرة في كل اتجاه، تتعلق العيون بهما، تكتظ الصالة الصيفية بالأهل، والأحباب، والصحاب. تباركهما عناية السماء، ينصهر الأبوان والأمان فى رضا، يلقون البسمات، والتحايا، يستقبلون التهانى من من الحضور.

تنفث ألسنة السوء فى أذنيه سم الكلام، تتسلل أيديهم فى خفية إلى جيب بزته الأنيقة بالحبوب تارة ولفائف غريبة عليه تارة أخرى.

يرنو إليهم بنظراتٍ زائغة، وابتسامته مجاملة.. يتجرع ما أعطوه، وبعدها بلحظات يشعر بأن خفقات قلبه تزداد اضطرابا، وتتحرك عقارب ساعته مع نور القمرالخافت.

تُدق الطبول والمزاهر.. تملأ الزغاريد الأجواء.. يلتف حوله الرفاق، يلف خصرها بذراعيه، تتألق عيونهما، تتلاقى النظرات،

وترتسم على الشفاه قبلات الشوق، يرقصان على نغم اسمها المعزوف « »على حسب وداد قلبى يا بوى « .

فى تلك اللحظة كان القمر يطل بين الغيوم بوجه مصفر، تهب نسمات هواء باردة مثقلة بعبق الروائح..

لحظات تمر ثقيلة عليه، يشعر بدوران كل من حوله، تتماوج الأضواء، وتتداخل الألوان فى عينيه، تتحرك نبضات قلبه ودقات ساعته البطيئة مع وضوح، وخفوت نور القمر الذى تحجبه الغيوم المسافرة. يشعر به أبوه، يطمئن عليه. ولكن يبدو علي وجهه القلق.

ينطلق الموكب وسط أجواء الفرح والزغاريد.. سرعان ما يجد نفسه فى مملكته مع مليكته.

ينظر إليها طويلا. تتنقل عيناه بين سحر قسمات وجهها المضيئة ، وبين بهاء جمالها.. يضمها إلى حضنه الدافىء، تحس بتدفق شلال نبضات قلبه، يلوح فى الأفق على مسافات ليست بعيدة عنهما. تتملكها الحيرة.

دقائق معدودة تمر سريعة جدا، يشعر بقشعريرة تنتشر فى جسده، ترتجف نظراتها، تتلجلج نبرات صوتها فى حنايا قلبها، يسكن الرعب فى سراديب روحها ويتعاظم خوفها.. يتركها، يشعر

بوخز الإبر فى رأسه. يشعر بأن قلبه سينفجر يمسح بيده على قلبه، يتجه إلى الشرفة مترنحا، يستدير متعلقا بستائر النافذة..

تتوقف عقارب ساعته، يصير كل شيء يراه أمامه وهما، وفى سمعه وشوشات أصداف.. تتناعس مصابيح الحجرة في عينيه، يتوارى نوره، والقمر شيئا فشيئا خلف ركام السحاب المتزاحم فى براح الفضاء الفسيح.

●●●

تأشيرة

يقف أمام المرآة طويلاً، ينظر إلى نفسه الحائرة، وملامح وجهه الشاحبة، وعمره الذي يمضى سريعاً.. يرنو بعينيه إلى شهادته الجامعية المعلَّقة على الجدران التى اعتلاها التراب.. يتهكم، ويضرب كفا بكف. يتذكر من ألفها قلبه، ولا يستطيع الوصول إليها، وموقف أهلها المتشدد منه.. كل هذا غدا فى عينيه حلما بعيدا.

كل ذلك يدور بخلده، لا عمل ثابت له، حتى صار عبئاً ثقيلا على والده الذى يرعى أخوته الصغار.. لم يأل جهدا وراح يبحث هنا وهناك حتى كلَّت همته، وخارت عزيمته.

فى صباحه، كلما هم بالخروج عاد يجر أذيال الخيبة، يبحث عن الثراء، ليستأجر مسكنا ويجهزه ليضم من يحلم بها صارت ثلاث مستحيلات، وأحلام بعيدة المنال..لا تفتأ هذه الأحلام تدور فى خلده، تراوده ليلا ونهارا.. يرى ويسمع عن كل من يهاجر بعيدا عن هذه الأرض يستطيع أن يحقق ما يصبو إليه.

يغريه صاحبه، ويزين له إن أرض الله واسعة.. توسوس له نفسه أن يخوض التجربة، يتفق مع رفاقٍ بائسين مثله.. ينسل خُفية تاركا دياره.. يضع كل ما جناه من مال فى يد تجار الأحلام. ينظر إلى الشاطىء البعيد، يخيل إليه أن الأحلام تناديه وتنتظره.. تحمله ذات ألواح، ودسر عليلة.. تشتد عليها الريح الغاضبة، تتأرجح يمنة ويسرة.. يتأرجحون معها، يسدل الظلام ستائره، تتقاذفهم الأمواج العاتية.. وتدور الأفكار والأحلام برأسه وبرأس كل من معه.. كأنهم قشة تسقط فى دوامة عاتية.. لم يستطع المقاومة.

ترتسم على ملامحه علامات البؤس، تذوب أحلامه زبدا رابيا، فيجد نفسه طعاما للقروش المفترسة.

●●●

بكاء السواقي

يداعب مارس بوجهه البارد وجهها البريء الصبوح، تنهض من نومها، ترتدى زيها المدرسي، تحمل حقيبتها، تهل بقسمات وجهها البرىء الذي يتآلف مع حروف اسمها الجميل «منّة».. تغمرها السعادة حينما تجد كلمات الحب، والحنان من معلميها، ومعلماتها.

تسألها معلمة الدراسات الاجتماعية عن حضارة «أم الدنيا» تجيب على الأسئلة بسهولة مبهرة، يصفقون لها بإعجاب، تشعر بنشوة غامرة، ترتسم على ملامح وجهها علامات السعادة والرضا.

ينتهى يومها الدراسي، تنصرف إلى منزلها القريب من المدرسة، تداعب أترابها في براءة، تمرح مع طفولتها.. تحمل فى يديها أعواد «الملانة» الخضراء التى اشترتها، تمرح مع أصحابها الصغار على شدو البلابل وزقزقات العصافير وعلى أصوات السواقى وهدير الماء.

لم تلق الأعواد فى الطريق كما فعلت زميلاتها، وإنما تعلمت درس» نظافة بلدى عنوان الجمال».. تذهب إلى صندوق القمامة، تلقى الأعواد، فتجد «دبدوبا» يستعطفها بعينيه الماكرتين وكأنه يطلب منها أن تخلصه من الروائح الكريهة، والحشرات. تحن

عليه، تحمله بين يديها البريئتين، تنفض من على رأسه الغبار، تبقى وحيدة فقد تركها أصحابها، تعلو الكآبة على وجهها، تنتظر أباها، حينما رأت أباها ابتسمت وتهللت، وظلت ترفع «هذه الدمية « إلى أعلى مرة ومرة.. لكنه يسقط من بين يديها فينفجر ليقتل الجمال والبراءة.

تنساق روح أبيها البائسة حول أشلاء متطايرة.. يشق صوت صرخاته عنان السماء ممتزجا بنواعير السواقى التي تعلو وتعلو، تشاركه البكاء حسرة على الصغيرة « منّة»..!

●●●

سراب

فى صباح أغسطس تحلق النسور فى الأجواء فوق قلعة ذات أبواب حديدية، وأسوار عالية، ، ترقب عيون الناس المتلهفة لرؤيته، يزدحم الشارع العريض المزدحم بالسيارات والبشر، ويمتلىء بالكاميرات والإعلاميين، على جانبيه شاشات كبيرة معلقة، تعلو أصوات وصيحات البائسين، ترتفع إلى عنان السماء.. يطالبون، وينادون بالقصاص، يبحثون عن أموالهم الطائلة المنهوبة التي هبَّت بها الرياح إلى الشواطىء البعيدة.

يتوافد حراس المعبد، يهبط النسر بسلام، ويُنقل إلى قفصه الحديدي برفق.. تحيطه هالة من الحراس والبنادق، يرتدى حلته البيضاء ونظارته السوداء، أيادٍ تحمل أوراقا وأقلاماً، أيقونات مختلفة معلقة على الصدور، يعتلى أصحاب النياشين المنصة، بينما الحمائم المنكسرة تتقبع على الأرض تحت لهيب الشمس الحارق، تأمل أن ترد لها بعض حبات قليلة تسد جوعها، وقطرات ماء صافية ربما تطفىء لهيب غضبها..!

فجـأة.. يختفـى نـور الشـمس وتشـتد الهـراوات علـى الـرءوس، تقـف الحمائـم منكسـرة، والـدم لا يـزال يغلـي فـى العـروق..

كلهـم لا يشـعرون بلهيـب الشـمس، والقيـظ الحـارق الـذى يلفـح وجوههـم، يـد باغيـة تفـرم كل الأدلـة والبراهـين، لا يجـد أصحـاب النياشـين مـا يدينـه، تميـل كفـة الميـزان المنحوتـة فـى الجدران وتسـقط علـى الأرض.

●●●

كل شيء يغيب..!

تشتد به الخطوب، وتتراكم عليه الهموم .يظل طويلا مستغرقا فى التفكير، وهو فى العقد الثالث من عمره، لا يملك إلا حد الكفاف، تكفى أسرته الصغيرة، تواسيه زوجته، وتعينه فى شدته.. يرنو إليها، وإلى طفليه الصغيرين. يسعى هنا وهناك بحثا عن الرزق.

يرى حال أقرانه فى قريته قد تغيَّر، وظهرت عليهم آثار النعمة، يهل الخريف بتقلباته.. يقرر السفر معهم إلى «ليبيا» يستحلفه والده الفلاح البسيط أن يبقى معه، لكنه يصر على الرحيل.

يودع زوجته الشابة القروية الجميلة ويقبِّل طفليه، ثم ينحى، ويقبل يدي والديه.. يسوقه الحظ للعمل في بلدة «مصراتة « فى أعمال الحفر ومد الكابلات الكهربائية لصالح شركة ألمانية.. يمضى عاما وهو فرح بما يجنى من أموال، فيرسل لهم الكثير والكثير.. تسمع زوجته بما حل فى تونس. تراسله زوجته، تطالبه بالرجوع، وأن يعيش بين أهله في سلام.. يراسلها بالطمأنينة والسلام.

هل الربيع العربي على ليبيا بأعاصير الخريف، ورياح الخماسين المحملة بنيران الغضب الملتهبة وبراكين الدم، تعطل رواتبهم ويصير هو ورفاقه تحت زرح المطرقة والسندان، تنقطع أخباره، فتجن الأسرة بأكملها.

يفر مع رفاقه البؤساء إلى مسكنهم هناك فى وادى الربيع، السماء تمطر وابلا من القذائف، تصير الأبنية خاوية على عروشها، يهيم جميعهم فى الصحراء، لا يدرون إلى أين يذهبون ولا كيف تكون النجاة والعودة إلى وطنهم؟

سرعان ما يقعون تحت وطأة تهديد السلاح يأخذون منهم أموالهم ووسائل الاتصال، يضربون وتركلهم الأقدام، يخبرهم بأنه مصري، لكن.. لا حياة لمن تنادي.

يسمحون له بالانصراف تجاه الحدود التونسية وقد جردوه من أمواله وأمتعته، يبقى طريح آلام الضرب والإذلال، تسرع خطاه عبر الدروب والوديان بين الكثبان والجبال. يمكث أياما طويلةً، يرتعش جسده بين خوف النيران، وبرد الليل المظلم، والقيظ المحرق وقت الهجير.

ومن فوقه تدور الطائرات ليمتزج أزيزها مع الأفكار الهائمة فى رأسه.. يتذكر أرضه وأهله، تبدو عليه علامات الندم، تنهمر

الدموع غزيرة من عينيه.. لا يشعر بالأمان إلا عندما صعد إلى الطائرة، وحين وصل بسلام، راح يهبط سلم الطائرة، ويسجد على الأرض، يقبلها طويلا، ودموع الشوق والحب تنساب من عينيه في أمان.

●●●

كبرياء

تصاب بحشرجة فى صوتها، ظلت فترة طويلة على هذا الحال.. تزداد ألما، تذهب إلى الطبيب الشهير، يكبِّلها بأدوية لا حصر لها، تتجرع الغصص المر بلا جدوى..

ذات صباح أخبرها أبوها بنبأٍ سار سمع عنه فى إحدى القنوات الطبية، يصف لها الدواء، تشتريه بثمن زهيد تشعر بتحسن طفيف عندما تناولته.. تذهب إليه، وتخبره بما عرفت وآل إليها أمرها.. يخبره بأنه كلام تلفزيون ودعاية، يأخذ منها اسمه، وهاتفه.

هو يعلم قدر، ومكانة هذا الاسم، يرفع هاتفه المحمول فى خبث، يتصل به و يعرِّفه بنفسه، ثم يخبره بالحالة.

يحدثه بمصطلحات انجليزية لا تفهمها هي. تراقب عينيه، وتصغى لحديثه الذي لم تفهم منه شيئا، تلاحظ تغيرا كثيرا على ملامح وجهه عندما يخبره باسم العلاج، ينهى مكالمته،

ثم ينظر إليها مبتسما ابتسامة صفراء، يتظاهر فى كبرياء بأن هذا الدواء لحالات العصب الخامس التى تصيب الحنجرة والوجه، وأن حالتها عرضية مخالفة.

تقـوم غاضبـة وتـزر عينيهـا تجاهـه في سـخرية، ثـم تهـم بالانصـراف، وهـي تشـعر بأنهـا قـد أسـاءت الاختيـار..!

●●●

غضب وانتصار

يقف صاحبه بجانبه مهموما، يتأمله صاحبه، وهو ناخ على الرمال، يرى فى عينيه الواسعتين حنين لرؤية أبى الهول، والهرم الأكبر إحدى عجائب الزمن حينما يأتى سائح ليمتطى سنامه، يتذكر صاحبه ما يدره عليه من مال، يعينه على مشقَّات الحياة، تتراقص خطاه فرحا عندما يشد صاحبه فوق سنامه الهودج الجديد؛ لتركب بداخله عروس تزف لعريسها.

يأتى رجل خبير بدروب المنطقة، يعطى صاحبه ورقة بخمسين جنيها ليركبه بحجة أنه يريد مشاهدة آثار بلده العريقة، يسوقه تجاه الطريق مسرعاً، ويضربه بعصا غليظة، تلمس أخفافه الأسفلت التى لم يعتد عليها، ترى عيناه الواسعتان أبنية وسيارات، وميدان يكتظ بالبشر يهتفون بالحرية.

يشتد عليه بالضرب ليدوس بأقدامه الثقيلة كل من يقف فى الميدان، يدور به مرة تلو الأخرى، يشعر أنه غريب يزمجر فى ضيق، يقلبه من على ظهره، يهجم عليه، يدوسه بأقدامه بلا رحمة ولا هوادة؛ ليحصل على حريته.

يرغو لعابه فرحا، يعلو صوته، ينظر إلى صاحبه الذى أتى وراءه، ليعود معه إلى أدراجه منتصرا.

●●●

ترويض

فـى وضـح النهـار يجـر رجـل متجهـم الوجـه كلابـاً شرسـة، إلـى سـاحة الميـدان، تختلـف جنسـيتها، وألوانهـا، وحجمهـا أحدهـا كلـب أبيـض ألمانـي، والثانـي أسـود « بـلاك أمريكـي، والثالـث، روك انجليـزي.

يقـف بهـم فـى منتصـف الطريـق مداعبـاً، يلتـف حولـه رجـال ماكـرون، يفـزع المـارة مـن منظرهـا المخيـف، يمـلأ الرعـب عيونهـم.

يروضهـا، تسـتجيب لصاحبهـا، تقفـز إلـي أعلـى حينـا، تنـام علـى جنبهـا حينـا .

لحظـات قلائـل يرخـي الأطـواق الحديديـة عـن رقابهـا، يبتسـم ابتسـامة عريضـة للواقفـين، والمارين تنـم عـن مكـر شـديد معجبـا بنفسـه.، يداعبهـا بحـركات مـن يديـه.

يقطـب جبينـه لمـن يحـاول أن يعبـث معهـا، يغمزهـا، يعلـو نباحهـا ،تقفـز تجاهـه فيجـرى مسـرعا.

يتأمـل شـاب وسـيم القسـمات صمـت وذهـول النـاس الواقفـين التـي تتفـرج علـى حركاتهـا ورضـا مروضهـا ، يتأملـون الـكلاب، وهـى تلتهـم بأنيابهـا الحـادة قطـع اللحـم المشـوي التـي يقدمهـا لهـا،

ينـدب حظـه، وحظهـم، يبحـث في بحـور عيونهـم عمـا يسـمى بحقـوق الإنسـان، التـى جردتهـم مـن ثـوب الكرامـة. يـرى ملامـح البـؤس ارتسـمت علـى وجوههـم.

تتـأزم نفسـه لِمَـا يـرى، تظهـر علـى جبينـه عبسـة تنـم عـن حـزن عميـق، وضيـق مـن الحيـاة، تذهـب نفسـه حسـرات علـى حالهـم وحالـه، هـو يبحـث عـن عمـل يكفلـه ، يتذكـر أنـه منـذ أيـام تحلـل مـن رباطـه العاطفـي حتـى لا تنتظـر محبوبتـه وهمـا أو سـرابا.

يمـزق الجـوع أحشـاء أحـد الصبيـة البائسـين في الميـدان، يمـرق بـين هـؤلاء الرجـال، يهجـم علـى قطـع اللحـم لا يبالـى أنيابهـا ، ولا يخشـى طغيـان ولا جبـروت المـروض.. تنهـش الـكلاب جسـده، وتعضـه فـى وجهـه، وجسـده، يعلـو صراخـه وآلامـه. يتـردد في الفضـاء الرحيب أنشـودة الخـلاص.

يغلـى الـدم في عروقـه، لمـا رأى الشـاب دمـاء الصبـي تسـيل علـى الأرض. تبـدو عينـاه كشـعلتين مـن الجمـر، تتأجـج نارهمـا فـى بـراح وجهـه الغاضـب، تثيـران فيـه حميـة كان قـد نسـيها، ، فهجـم غيـر آبـه بوحشـية الـكلاب، ولا صاحبهـا ولا مـن معهـم.. يمـرق صفـوف الواقفـين ،يتجـه نحـو الكلـب، يركلـه بقدميـه بـكل مـا أوتـى مـن قـوة في بطنـه ووجهـه، حتـى اسـتطاع أن يخلِّـص الصبـي.

يسقط الكلب ميتا .. يهيج المروِّض مطالباً بحقه، ويمسك هو ومن معه بتلابيب الشاب، أخذوا ينهالون عليه بالضرب والسباب، تتحرك نخوة البائسين، يثيرون،يخلصون الشاب من بطشهم.

يهجمون على الرجل، وكلابه، يفر من معه بعيدا .. يتقدم الشاب كالمارد رغم تعبه، وآناته نحو الرجل، ويلطمه لطمة قوية تسقطه أرضاً، وتسقط السلاسل من قبضته.

تفلت الكلاب، لم تستطع الصمود أمام غضبتهم، تجرى بعيدا عن عيونهم، تعبر بأقدامها على جسد مروضها الملقى على الأرض، يعلو نباحها، تعلو آهات أوجاع البائسين، والمحرومين.

●●●

اللاءات الخمسة

١ ـ لا انتظار

ينبض قلبه شوقا عندما تمر تجاهه. يخطب ودها،ويتقرب منها. لم تعره اهتماما،ولا تشعر به، ولا تسمع نبضاته الحائرة.

تنظر إليه بطرف خفى. يعود كاسف البال مضطرب االخواطر..!

٢ ـ لا تذبحينى

لا تذبحينى بسهام نظراتك اللائمة.

ارحميني من عذاب الضمير.

ولتعلمى إننى ابتليت بحبك، كما ابتلى يعقوب بحب يوسف..

وما أخطأت فى حقك، ما كنت آمله هو أن تمرحى وتطيرى فى سمائك، ولكن.... هذا.. قدرك..!

٣ ـ لا تدمعى

تتعلق يدا طفله بردائه الأبيض. يحتضنه،ويقبله. تلاحظ زوجته فى عينيه الصافتين سفرا بعيدا.. يكسى وجهها شحوب قاتم..!

يمسح بيديه دموعها الحانية، تختفى شجونها بحضنه الدافىء.

يشير بسّبابته لا.. يتأملهما لحظات، ولم يطل،ولم يلتف وراءه، ثم ينطلق مسرعاً ليغيب إلى الأبد..!

٤ ـ لا قيـود

يخيب رجاؤها .. هى لاذنب لها ..

ترضـى أن تظـل أرضهـا قفـرا، يحررهـا مـن القيـود؛ فتنسـى وجعهـا .

يداعبها أملٌ حىّ كانت تنتظره. تتجلى فى عينيها نظـرةٌ تشـع سـخرية منـه حينمـا تعلم.. أن المشـهد تكرر مع أخرى تعرفهـا ..!

٥ ـ لا أذى

كلما تباهى أمامى بامتداد جذر شجرته كان يضيق صدرى، لا تؤذينى بأن تثرثر كثيرا بحدثيك السام أمامى، ولا ترمقنى بنظراتك العجفاء.

أنا لا أشعر بالعجز، ولا أفقد الأمل، وإنى منتظر،

أرتقب غيوم السماء أن تدرأنواء المطر على ينبوع نهرى الجاف؛ ليحيى شجرة يابسة..!

قناع

اعتاد أن يتزين برداء الحياء، يتكلم أمام الناس بما يحفظ من آيات، وأحاديث.فيما يعلم، ولا يعلم، متظاهرا بوجه سمح ، يبتسم ابتسامة عريضة فى وجه من يثنى عليه، يستمع لمن يثني عليه، يمقت من يخالفه

يتملكه حب المال، كثيرا ما تذكره ألسنة أصدقائه أن عمره بلغ الخمسين، تنصحه أن يبحث عن أليف يشاركه حياته، وتؤنس وحدته القاسية التى لا معنى لها ولا طعم ولا لون، لكنه لم يستمع إلى النصح.

كثيرا ما كانت تأتى له سرا، تحدثه فى صمت الخائفين أن يحميها من عيون الذئاب، وأن يرعى جهلها، وفقرها، يراوغها كثيرا بوعود معسولة.

فجأة ! تأتى إليه، وتطالبه بحقها أمام الملأ، تريد منه أن ينصفها، وأن يفى لها بوعده، وأن ارتباطهما لم تكن ورقة ذهبت مع الريح العاصف.

يتعجب منه من يعرفه..! يظل أياما بعيدا عن الأنظار، يجد نفسه وحيدا بين جدران حجرته الكئيبة، يتأمل نفسه فقد اشتعل الرأس شيبا، يعد ما جناه، ويحسبه؛ فيجده لا شيء رغم كثرته.

يدور برأسه شريط من الذكريات المرة، تنهمر الدموع من عينيه.. يتذكرها كثيرا، لكنها ما هي إلا صورة، أو وهم فى خياله، أو نزوة عابرة.. تلجأ إلى أحد أصحابه، فيذهب إليه، يحدثه، ويذكره بحق البائسة التي لجأت إليه.

يتملكه الغضب، ينهره، رافضاً في عنت، وكأنه لم يعرفها من قبل. ويطرده من منزله.

حين علمت بما حدث غضبت غضبا شديدا، وراحت تلح أمام الملأ، فى طلبها، وحقها، ما أثار حفيظته، فسقط قناع وجهه، وتعرى من رداء السماحة؛ فصار عاريا أمام الجميع..!

●●●

بشارة

تعيش مع زوجها راضية أن تكون قفرا، تحس فى ملامحه نظرات العتاب، واللوم، ترى نفسها كالأرض الجرداء، تعيش في بيتها الواسع وحيدة مع زوجها، تحلم أن تنبت أرضها لتزيل أحزانه التى ترتسم على جبينه، تتمنى أن تكون أما وتعيش فى ظله، ولا يفارقها. فهو بمثابة الماء الذى تشربه، ونسمات الهواء التي تنعش صدرها.

تتقطع نياط قلبها وهي تطلب منه أن يجرب حظه مع غيرها،

يقبل بهذا العرض، يتزوج فتاة صغيرة السن، غير آبه بفارق سنه الكبير.. تتدلل عليه بجمالها الفتان، يلبى لها كل ما تريد، بعد قليل بشرته بما تمناه طيلة عمره، يطير فرحا ويبشر رفيقة عمره بهذا النبأ السار فتفرح فرحا شديدا، تحتضنه وتبكي.

تأكل نار الغيرة قلب الزوجة الشابة، تضع نفسها فى كفة، وزوجته المسكينة فى الكفة الأخرى، تسعى بكل ما تملك أن تنغص حياتها، وتكدر صفوها.

تحول حياتها إلى جحيم بسبب مضايقاتها لها، لكنها تكتم وجيعتها فى نفسها، وتحاول أن تعيش.. تنفث الزوجة الشابة سمومها فى رأس الزوج؛ فيصدقها، راح يشمت من زوجته القديمة حينا، ويجرحها أحيانا، تتأزم الأمور بينهما، تتمنى الخلاص من هذا العذاب، لم يعد هو زوجها الذي أحبته.

طلقها بلا مقدمات، غادرت البيت ودموعها تنهمر من عينيها، فتشعر بالضيق والندم على حياتها التي ضاعت هباءً، قررت أن تنساه، وتعيش حياتها بعيدا عنه.

يكتشف أن ما بشرته به الزوجة الشابة كان وهما، أخذه الحنين إلى زوجته الحبيبة، فندم على فعلته ندماً شديدا. كان حبها لم يزل يتغلغل فى حنايا قلبه، حين قرر أن يرد لها اعتبارها ويعيدها إليه. هم بالذهاب إليها، وفي الطريق رآها تسير في دلال، وهي تتأبط ذراع رجل آخر، وتمرر أناملها الرقيقة على بطنها الذي يحمل نبتا انتظرته طويلاً..!

●●●

هذا ما جناه..!

هـو شـاب فـى مقتبـل العشـرين مـن عمـره، يعيـش فـى أسـرة بسيطة، لم ينل حظا وافرا من التعليم، كان يعمل مع والده الحرفيّ الذي يكافح من أجل ثلاثة من الأولاد، وبنتين فى مختلف مراحل التعليم، ترعاهم أم ربة منزل ولوع ببيتها.

يحـاول أن يتعلـم حرفـة أبيـه، لكنـه غيـر راض بهـا، يغـدو إلـى الصـلاة في المسـجد أحيانـا، يتابـع شاشـات سـوداء تختـرق المنـزل بأفـكار، وتعاليـم مسـمومة، تخالـف مـا يسـمع مـن رفاقـه، وبشـعر دائمـا أن فكـره ينافـض فكـر أبيـه البسـيط.

يعتنـق موجـات فكريـة هائجـة، يؤمـن بهـا، فتختلـط وتـذوب الأفـكار في عقبـه كأمـواج البحـر الثائـر، وغـدت الـرؤى بينـه وبـين أبيـه لا تجتمـع علـى مائـدة واحـدة.

فجماعـة الرفـاق يغرسـون في عقلـه البكـر وسـاوس وأوهـام كثيـرا كلهـا أفكارغريبة..

يجرفه التيار، ينساق وراءهم بكل قوة، يقع تحت براثن ذلك الفكر، يغيب عن الواقع الذي يعيشه، ويتغيب كثيرا عن المحل، وعن الأسرة، يناقش أهله بحدة، ويجادل أباه عندما يذكره بالسماحة والرضا.

يطول ليله، تزداد دقات قلبه، يشقشق نور الفجر، يترقب هاتفه، تأتيه الإشارة، ينهض من سريره مسرعا تضطرب أوصاله، تسوقه خطاه بسرعة إلى الخارج، يلقى صديقه حاملا في يده حقيبة سوداء. يطول حديث الجهاد بينهما، تتراءى الجنة في عينيه، يتخيل أبوابها تفتح في وجهه، كأنها تنتظره وكفى، يريد أن يطهر نفسه، ويربأ بها عن شهوات الدنيا وملذاتها.

يمد له الحقيبة؛ فيتناولها، يتأمل الشارع الطويل في حذر وترقب، يرى السيارات تصطف طولا على جانبيه، يتسلل خفية يضعها تحت إحدى السيارات، ويمضى مسرعا، وقف من بعيد، وعيناه تراقبان من بعيد، عند وصول الهدف، بدون تردد ضغط على مفاتيح المحمول، فانفجرت السيارة، صوت الانفجار يزلزل الأرض بشدة، والنيران حولت الشارع إلى جحيم، والدخان الأسود انتشر يغطى صفحة السماء.

لمحه رجال دورية الشرطة عن بعد، اقتربوا منه، فشعر بالخوف وهمّ بالهرب، السيارة تلاحقه بإصرار، وأخرى قطعت

علية الطريق، صار حائرا، لا يعرف كيف الخلاص من هذا الحصار.

لحظات وقفها مترددا، وندتءات تطالبه بالاستسلام، لكنه لا يجيب..!

تأتيه رصاصة من مكان عالٍ، تسكن قلبه، يترنح جسده الهزيل، ترى عيناه رفيق الفجر، يدور حول نفسه، يتذكر قول أبيه، وهو يهوي على الأرض

: (آخرة العوَج ضياع يا ولدي).

●●●

طيور من نار

يهل صيف يوليو الحارق، تسبح أسراب الطيور الأليفة فى شكل بديع يأسر العيون.

سرعان ما تعج صفحة السماء بطيور أخرى تنثر فوق الرءوس أوراقا حمراء، تنفث نيرانها إلى أسفل، لتفتك بكل شىء جميل.. تتفرق الطيور الأليفة فزعا تجاه البحر، تعلو أنات الأمهات الثكالى، تتقوَّض أبنية وتدك بالتراب، تتلون الغدران باللون الأحمر، الأشلاء المتناثرة يختلط بعضها ببعض فى مشهد مأساوى.

يعلو النواح، تدمع العيون، تتعرى الأرض من بهجة الحياة.. يشيب الفتى النضر رعبا، يجد أيادٍ تنتشله، يختبىء بين الحطام..

يفزع لما يرى، يقف متأملاً كل شىء حوله.. كل شيء يتغير فى ثوانٍ معدودة، إلا أنه لا يفقد الأمل الذى يصنع المعجزات، ويقذف فى قلبه الرضا والطمأنينة.

ينظر هنا وهناك، لم يبق من الديار إلا حطاما، وركاما، يظل أياما مختبئا بعيدا عن الأنظار، يشتد عليه العطش والجوع يكاد يفتك به.

لم يستطع الخروج، يتطاير الدخان، يخرج للبحث فى نفايات الطعام تحت الأنقاض، وأشلاء الموتى. يجد بعض القطط الضالة تسعى وتشمشم فى كل مكان، كانت تنتظر ساعات طويلة، تبحث بين الركام عن طعام، وتتحين الفرصة للانقضاض على فأر ضل جحره.

يتعجب من صبرها، وتتسع حدقتاه لما يرى، يتميز من الغيظ، عندما يرى عبر شاشات سوداء» الطاووس يختال فى زهو وعلياء يتلو آيات النصر، ويشيد بعملية الجرف الصامد وسط هالة من الذئاب.. ودعوة شيطانية.. تباركه عيون أمريكية وفرنسية وانجليزية متحجرة تدَّعى البراءة.. يروح ويغدو فى جنون حاد، يتساءل:

- أين البراءة..؟ أين يقيم سكان «حى الزيتون» الآن..؟

يبكى بحرقة، تمزق سراديب روحه، يرى صورته منكسرة ووجوه بعض الناس البائسة أكثر انكسارا فى صفحة مرآة الغدير، والغضب يغلى في عروقهم.

ترتسم عليها جادات البطون الفارغة.. يختبئون وراء الركام، يسيطر الخوف عليهم كثيرا، تغلب عليهم النكات السوداء، رغم فزعهم يتذكر بالأمس ما كان فى الدار من طعام، وطيور ودواجن دفنت مع من دفن من الأهل والصحاب.

يُخرِجون من تحت الانقاض جثثا مشوَّهة.. يراها؛ فيحبس دموعه، تتربع فى صدره صورة الانتقام.. هناك بعض الشجيرات المثمرة، لا يستطيع الذهاب إليها، ليجلب ثمارها له وللبقية الباقية.

ينظر إلى السماء، فقد تغير لونها الصافى إلى اللون الرمادي القاتم، لا يرى أسراب الطيور تسبح فى فضائها كما كانت، بينما يرى الطيور المعدنية تغطى صفحتها، وتترقب اللحظة المناسبة، لتنقض وتصطاد طيور الأرض المسالمة.

●●●

سجينة الوهم

أمام مرآتها المكسورة، تقف مثل كل يوم، تحدِّق فى ثنايا وجهها الجميل، وقسمات جسمها الفتّان تتضاءل عزيمتها أمام رغباتها الجامحة، يتحول قلبها إلى موقد ملتهب من الغيرة، تزداد أطماعها، تتراكم همومها، لا حيلة فى خلاص روحها من قيود الوهم وجدرانه.

هى تحلم بفارس مثل أي فتاة، تتمناه ثريا يقدر جمالها. ويعبر بها وحدتها القاتلة، ويحقق لها كل ماتصبو إليها.

رغم أنها فقيرة، ولم تنل حظا من التعليم، تجوب أماكن كثيرة فى أنحاء العاصمة كى تجد فرصة عمل تنتشلها من فقر أسرتها التى تعيش فى إحدى الأحياء الشعبية.

يراقبها رجل أياما طويلة، يحس بما يدور فى خبيئة نفسها، يدرك مواطن ضعفها، يلاحق خطواتها اليائسة فى كل مكان مستغلا جمالها، وبؤسها، وانصراف أسرتها عنها، يخبرها بوظيفة فى إحدى أندية العلاج الطبيعي براتب مغرٍ. تشعر بأن الحياة تبتسم لها من جديد.

يهيأ لها بأن أحلامها ستتحقق، وأنها تكفى أسرتها الفقيرة البائسة الممزقة، وصغار أخواتها الضعاف. يفرح والديها بعمله الجديد.. تذهب مع الرجل، يطرق الباب، تستقبلها فتاة بابتسامة ماكرة، تبتسم لها، وتجلس دقائق، وعيناها تدوران على المكان في دهشة بالغة، تضطرب، تتلجلج خطاها، ويحمر وجهها، تتصبب عرقا، وتتلاحق أنفاسها، حينما ترى أمامها صاحبة العمل ذات رشاقة، وأناقة، وجمال طاغٍ.

لم تكن تعلم أنها تسير وراء غرائزها، وأنها أضحت صيدا ثمينا وقع فى حبائلهم، تكتم فرحتها، يشتد ذهولها عندما تخبرها بالراتب المغري، توقع على العقد وإيصالات دون أن تقرأ، ولا تعرف ما كتب فيه..

لم يمض شهرا حتى تكتشف أنها وقعت فريسة تحت أنياب الذئاب، وأن السيدة تدير مرقصا للفجور، وما هى إلا سفيرة لاصطياد راغبى الثراء السريع، وجاهلات العفة.

تجالس السكارى، وهى تتألم، تظل الهواجس تطاردها، والخوف يؤرقها فى كل لحظة، حين عاتبته، وثارت عليه، تظاهر بالبراءة، لكنه لم يلبث أن يهددها بما هو أكثر، تخشاه، وتتراجع، حتى تختمر فى ذهنها فكرة الانتقام.

تعود إلي بيتها خائبة، ترتمي على سريرها، وتبكي، يد تربتها؛ فتنتفض من نومها فزعة، أمها توقظها، كي تخرج لتبحث عن عمل، تشعر بحركات أقدام تتبعها، تلتفت ورائها، ترى شابا يلاحق خطواتها، يغازلها، كأنه هو من كان في منامها، تهرب مسرعة.. تعود إلى منزلها، تتخلص من قيود الوهم الذى ظلت سجينة لها زمنا طويلا.. ترفع وجهها إلى السماء، ثم تنهض لتتوضأ، وتصلى ركعتين.

●●●

ألوان

١ ـ هراوة

يحمل فى يمينه ميزان ،وفى يسراه هراوة.

يتخافت ضوء النهار، يقف أمامه منكسرا. يسكن الظلام عينيه.

يختفى الميزان، تشتد الهراوة..!

٢ ـ النهر

هـو يغضبهـا دائمـا، ويجافيهـا لأنـه جـرح، وهـم، وغـب، وحجرصلد. بينمـا يفيـض قلبهـا عليـه مـودة وحنانـا، وتسـمو فطرتهـا إلـى عنـان السـماء، لأنهـا روح الجنـان، ورحـم وقلـب ويـد.

٣ ـ أيهما أصدق ؟

سـأل طالـب نجيـب معلمـه ماالموقـع الإعرابـي لكلمـة « الخيـول» فـى «تراجعـت الخيـول العربيـة» فأجابـه:

- فاعلا

ثم دخل معلم التاريخ، وسـأله الطالب نفس السؤال؛ فأجابه:

- مفعولا به.

فتعجب الطالب قائلا:

- أيكما أصدق..؟!

وقف المعلم منكسرا أمامه قائلاً:

- يابنى.. لا تصدق أحدا فينا..!

٤ - وأخيرا يشرق الفجر

حين يَجُنُ الليل، يرخى سُدوله، يغطى الظلام صفحة السماء، يقف الفتى «فارس» فى الميدان يبحث حوله فى عيون الحيارى عن معنى الحياة، وكيف يحقق العدالة، تتطلع عيونه إلى الفجر الوليد، تمتزج الحروف فى أغنية شاعر، ويرسمها الدخان، لتترنم بها شفتاه العذارى، تعزفها أوتار قلبه المكلوم، يطرح الحاوى الماكر كل الأجربة أرضاً، تنفلت الحيَّات بسرعة نحوه، تحاصره الخفافيش من أعلى، يدور حول نفسه فى هياج، وغضب، يصرخ، يتساءل في جنون: «من أنتم..؟»

فى لمح البصر يحلِّق النسر شامخاً، يمزق ستائر الظلام، تفر الخفافيش فزعةً، يختطف الحيَّات واحدة تلو الأخرى، يظلل بجناحيه الضخمة الفتى «فارس»، ثم ينبثق من رحم الظلمات فجر وليد يشرق على الميدان، يلقي من يده كتاب الموتى، يدرك جيدا أن الملائكة لا تغادر أشجار الزيتون، فيرتدي ثوبا جديدا مزيَّنا بنور العدالة.

السيرة ذاتية

رأفت عزمي علي

قاص ١ شاعر ، ناقد

أسيوط

السكرتير العام لنادى أدب أسيوط

عضو نادي أدب أسيوط / وعضو نادي القصة بأسيوط،

نشرت قصيدة نداء وأصداء فى الأهرام العربى/ قصة شهيد ـ فى الأخبار/ قصيدة إعراب جملة فى مؤتمر أدباء مصر ـــ إعداد وإخراج مسرحيات (العمرية- السلطان الحائر ـ إعدام ابن المقفع ـ نهج البردة ـ لوحات عمرية) بمسرح المدرسة فى حفلات رسمية بحضور المحافظ والقيادات السياسة والتعليمية/ تسجيلات لبعض قصائد وقصص فى cbc ـ شمال الصعيد.

❖ إصدارات:

ـ مجموعة قصصية بعنوان « تقاطع وإشارة حمراء، المركز الأدبي بأسيوط، ٢٠١٤م.

الفهرس	الصفحة

إهداء :..... ٥

هروب:..... ٩

شهد:..... ١١

رقص الأفاعى:..... ١٥

خط أحمر :..... ١٩

خطأ فى العنوان:..... ٢١

اختفى، ونور القمر:..... ٢٥

تأشيرة:..... ٢٩

بكاء السواقى:..... ٣١

سراب:..... ٣٣

كل شىء يغيب !:..... ٣٥

كبرياء:..... ٣٩

غضب وانتصار:..... ٤١

ترويض:..... ٤٣

اللاءات الخمسة:..... ٤٧
قناع:..... ٥٧
بشارة:..... ٥٩
هذا ما جناه..!:..... ٦١
طيور من نار:..... ٦٥
سجينة الوهم:..... ٦٩
ألوان:..... ٧٣

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر